تفريغ محاضرة

من أنوار النبّوة ٣

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٥/١١/١٤٤١ هـ

من أنوار النبّوة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدهِ الله فلا مُضل ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا رسول الله، أما بعد..

حديثنا اليوم عَمَّنْ أطلنا الغيبةَ عنه وعن أحاديثه الشجيّة حبيبُنا النبي محمد ﷺ، وكعادتنا كل شهر نُعرج على شيء من كتب الأحاديث ونستعرض من سُنن المصطفى وأحاديثه.

و كان من نصيب هذه الليلة المباركة أن يقع بأيدينا كتاب باسم الصحيح المسند من الأحاديث القدسية تأليف الشيخ: مصطفى العدوي.

وما يُميِّز ليلتنا هذه ليس ذكرنا لأحاديث النبي ﷺ من قوله فقط، بل أيضًا سنذكر ما جاء من قول الله -عز وجل-.
وعلى بركة الله ننطلق في أُولى الأحاديث.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَقُولُ اللَّهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَلاَ تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ "[1]()

قال الله عز وجل في هذا الحديث القدسي من هَمَّ بحسنةٍ فعمَلها كُتبت له من حسنةٍ إلى سبعُمائةَ ضِعف، فأيَّ حسنةً عملتها من برٍ لأُمِك أو ابتسامةٍ لأخيك، أو صُنع معروف، أو تقديم صدقة. لن تُكتب لكَ حسنةً واحدة بل ستُكتب لك عشر حسنات وتصِل إلى سبعمائة ضعف! وهذا من كرمِ الله عز وجل، ثم يُكمِلُ الحديث بأن لو همَّ الإنسان فقط دون أن يعمل يعني مثلًا أن يكونَ قد نَوى قبل أن ينام أنه سيفعل من الصالحات كذا وكذا إذا قام من نومه، ثم لم يفعل ما نواه، فإن الله عز وجل يكتبها له حسنةً واحدة من أجل النية والرغبة التي جاءت في قلبه لفعل الخير، بخِلاف لو هَمَّ الإنسان بفعل سيئةٍ ما، يعني جاءته رغبةَ القيام بأحد السيئات ثم تركَ هذه النية والرغبة خوفًا من الله -عز وجل- فإن اللهَ يكتُب له حسنة مُقابل رجوعِه عن القيام بالسيئة.

وهذا يتجلّى في حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار قال أحدهم : (...، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ، إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ المِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا)[2]()

[1]() أخرجه البخاري،صحيح.
[2]() أخرجه البخاري،صحيح.

فذلِكَ الرجُل كان في موضعٍ لا يمكن لأحد أن يردّه، إذ مكّنتهُ ابنة عمّه التي يُحبُّها حُبًا جمًّا من نفسِها بعد فترة من الزمن مقابل مائة دينارٍ ووفرها لها، وقعد منها ما يقعد الرجل من المرأة، ثم قالت له: اتق الله فانتفض قلبه خوفًا لله وقام عنها وترك المائة دينار. وقالَ مُخاطِبًا الله -عز وجل- حينما أُطبِقَ عليه الغار: (فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا)[٣]() . ذلك الرجل لم تكن فعلته خيرًا، بل كان في موطن معصية وليست أي معصية! إذ كان سيرتكب في تلك اللحظة الزنا الذي هو أبشع المعاصي إلا أن الله الرحيم الكريم أبدل تلك السيئة إلى حسنة فقط لأنه رجعَ عنها وتصدَّى لها خوفًا من الله -عز وجل-.

فالخلاصة أن السيئة إذا لم تعزِم ولم تُصِرّ عليها وتفعلها، أبدلها الله لك بحسنة.

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ، فَقَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ» [٤]() يقول هذا القول في تبوك، ويُعرف عن غزوة تبوك أنها كانت في زمنٍ حارٍ كجمرةِ القيظ أي الحر الشديد. وفي الوقت الذي يقطع فيه الرجال التراب على أقدامهم، حفاة جائعين يقول لهم ﷺ إن بالمدينة أناسًا ماكثين في بيوتهم تحت الظلال والثمار، لكن ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم، قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة ونحن هنا تحت حر الشمس؟! قال: (نعم هم بالمدينة حبسهم العذر) وزاد في رواية أخرى: «إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ»[٥]() وهذا من كرم الله -عز وجل- في معاملته لعبدهِ حينما يُجازي على النيات والرغبات وإن لم يتبعها فعل، وهو سبحانه يضاعف للعبد الحسنة إن فعلها.

ولا يكتب للعبد السيئة حتى يفعلها، فإن تجرأ العبد وفعل السيئة، فهل تكتب له عشر سيئات؟ أم تكتب له سبعمائة ضعف كالحسنة؟ سبحانه رحيمٌ بعباده لا يضاعف السيئات ولا يعظمها فلا تكتب إلا سيئة واحدة! إلا في حالة واحدة وهي الأشهر الحرم وفي مكة؛ لورود الآيات بتحريم الظلم فيها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سورة الحج آية (٢٥).

ويُقصد بالإلحاد: المعصية وغيرها من الكبائر.

ودلّ على ذلك قول إسحاق بن منصور-رحمه الله- حينما قال لأحمد :(**هل ورد في شيء من الحديث أن السيئة تكتب أكثر من واحدة؟ فقال: لا ما سمعت إلا بمكة لتعظيم البلد**) فالسيئة لا تُضاعف عددًا كما نعرف، بل تعظم قدرًا أي تثقل في الميزان

فلا يهلكُ على اللهِ إلا هالك!

مما يجدر العناية به في هذا الباب، ما ذكره الأئمة -رحمهم الله- في هذا الحديث إذ كانوا يقولون: (**إن محاها الله لا يهلكُ على اللهِ إلا هالك**)، أي إن الذي يأتي يوم القيامة وسيئاته كثيرة رغم أنها لا تُضاعف أي (لا تكتب إلا

[٣]() أخرجه البخاري، صحيح.
[٤]() أخرجه مسلم، صحيح.
[٥]() أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: صحيح.

واحدة) ومع ذلك يهلك عند الله، فهذا إنسان أراد لنفسه هذه الخسارة! زَادُهُ قليل، حتى لو ضوعفت حسناته إلى عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف لن ينفعه ذلك.

قال النووي عن أبي جعفر الطحاوي-رحمه الله- (**في هذهِ الأحاديث دليلٌ على أن الحَفَظَة يكتبون أعمال القلوب وعقدها**) أي إنك حين تنوي فعل أمرٍ ما وكان حسنة كُتِبت حسنة، وإن كان في سيئة فلا تكتب لك حتى تعزم عليها وتقومَ بها، فتذهب إلى المكان كذا، أو تفتح الموقع كذا، وتفعل كذا...

ولذلك قال أحدهم (ويلٌ لمن غلب الواحد العشرة) الواحد أي: السيئة الواحدة في مُقابل عشرة أضعاف حسنة، ومع ذلك يأتي يوم القيامة وقد غلبت سيئاته حسناته.

الحديث الثاني: يقول النبي ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: " الرِّيَاءُ " إِنَّ اللهَ يَقُولُ: " يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»[٦]()

فلو كان أحدهم يعمل الخير فقط من أجل الناس ولأجل نظرتهم له أي ليقال عنه هذا إنسان مؤمن هذا إنسان مصلٍّ حتى يحصل على تزكية منهم.

لاحظ أننا لا نتحدث عن الذين يعملون الشر من أجل الناس -هؤلاء بالطبع ليسوا بأهون لكن لهم ذنب آخر- وإنما نحن نتحدث عن الناس الذين يفعلون الخير من أجل ثناء الناس عليهم فقط، فيقول الله -عز وجل- لهم حينما يجازيهم بأعمالهم يوم القيامة: اذهبوا للذين كنتم تراؤون لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً!

ومعنى هذا الكلام أنه ليس لهم عند الله جزاء، لأنهم لم يريدوا بعملهم وجه الله أو الأجر منه.

وهناك الكثير من الأمور في الدنيا يفعلها الإنسان وهو لا يرجو فيها ثواب الله عز وجل، وإنما كان يرجو فيها ما عند الناس فقط، فإذا قلنا ما عند الناس، فيقول الله لهم في الحديث الآخر: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» [٧]()

فالله غني عن أي عمل تشرك معه أحد غيره وحينما تقرأ مثل هذا الحديث في الناس التي تعمل الخير، فكيف بأولئك الذين يعملون الشر، الشر من أجل الناس، هؤلاء ما عقابهم عند الله؟ ليس لريائهم وإنما لأنهم اجترؤوا على الله -عزوجل- حتى أنهم انتهكوا الحرام جرأة ومعصيةً لله -عز وجل- لمجرد مجاراة المجتمع والبيئة التي تحيط بهم.

تفحّص قلبك!

- ويُذكر عكس هذا الشرك ما جاء في الحديث الآخر قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا،

[٦]() أخرجه أحمد، وقال الألباني: صحيح.
[٧]() أخرجه مسلم، صحيح.

وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً»[٨]() ، لذلك مصداق هذا الحديث ما يقول الله عز وجل في الحديث المعروف: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».[٩]()

إذن الشاهد ليس كثرة الذنب ولا كثرة الخطايا فالله -عز وجل- يقول " لو أتيتني بقراب الأرض خطايا " أي ليس عندك من العمل سوى أنك أتيت بملء الأرض من الذنوب والخطايا، لكنك لقيت الله -عز وجل- لا تشرك بهِ شيئًا، ذنوبك ومعاصيك لم تكن شركًا، قد تكون معصية في لحظة ضعف استحوذ عليك الشيطان فيها، فلم تكن كالمعاند المُصرّ على ذنبه يفعلها مرارًا وتكرارًا.

لذا يقول الله عز وجل " لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة " يعني يبدل الله -سبحانه وتعالى- كل تلك السيئات بالحسنات.

من المهم أن تتفحص قلبك وتتفحص نوع ذنوبك، هل هي ذنوبٌ مُصر عليها؟ أم هي لحظات يسرقها الشيطان منك على غفلة؟ كأن يسرق منك في صلاتك، أو بكلمة فلتت منك بغيبة، أو كذبة استغفرت منها طول ليلك وأنت تتقلب على فراشك نادمًا!

تأمل هذا الحديث أيضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُسِيءُ الظَّنَّ بِعَمَلِهِ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَخُذُونِي فَذَرُّونِي فِي الْبَحْرِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، فَفَعَلُوا بِهِ، فَجَمَعَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ؟ قَالَ: مَا حَمَلَنِي إِلَّا مَخَافَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ»[١٠]() وفي رواية أخرى لنفس الحديث: «عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ سَلَفَ، أَوْ قَبْلَكُمْ، آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا - يَعْنِي أَعْطَاهُ - قَالَ: فَلَمَّا حُضِرَ قَالَ لِبَنِيهِ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا، .... » [١١]()

أي أني كنت أب جيد لكم لكني لم أدخر شيئًا من العمل الصالح عند الله -عز وجل-! لكن السؤال هو لماذا سألهم أي أب أنا لكم؟ الهدف هو الاستعطاف؛ لأنه يريد أن يأمرهم بشيء ثقيل، فقال لهم: (فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا، وَإِنْ يَقْدِرْ عَلَى اللَّهِ يُعَذِّبْهُ، فَانْظُرُوا فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي - أَوْ قَالَ: فَاسْهَكُونِي - ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَذْرُونِي فِيهَا،....) [١٢]()

هذه الوصية التي أوصى بها أبناءه ويعرف الأبناء أن الأمر ليس سهلًا عليهم أن يحرقوا أباهم حتى يُصبِح فحمًا يطحنونه وينتظرون يوم ريح في يوم عاصف ويذرونه فيها. هذا الفعل الجرمي ليس سهل ولذلك استعطفهم به،

---

[٨]() أخرجه مسلم، صحيح.
[٩]() أخرجه الترمذي، وقال الألباني: صحيح.
[١٠]() أخرجه البخاري، صحيح.
[١١]() أخرجه البخاري، صحيح.
[١٢]() أخرجه البخاري، صحيح.

ولمَّا مات وأخذ مواثقهم على ذلك وفعلوا فيه ما أراد، وتبعثر رماده في السماء قال له الله عز وجل: (كُن) كلمة واحدة فقط؛ حتى يعود قطعة واحدة كما كان.

لأن الإنسان لا يمكنه أن يهرب من الله ولو بحث عن أدهى الطرق، وهذا الأب يريد أن يهرب من الله عز وجل وما كان يعلم أن الله يقدر عليه حتى لو لم يدفنوه وحتى لو لم يكن كتلةً واحدة، فلما قال الله عز وجل له (كن) كلمة واحدة من حرفين فقط ، فكان إذ جمع الله عز وجل هذه الذرات كلها حينما أمر البحر فجمع ما فيه، و أمر البر فجمع ما فيه حتى كان رجلاً واقفًا أمامه فإذا هو رجل قائم،

فقال الله له : (أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ - أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ - فَمَا تَلاَفَاهُ أَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ) [١٣]()أي في لحظته رحمه الله، فالذي نفع هذا الإنسان هو خوفه من الله-عزّ وجل-!

لذلك احذر الاستهانة بأعمال القلوب، فلا تستهن في أن تجعل قلبك يرجف من خوف الله -عز وجل-، اجعل هذا الشعور حيًّا، واعلم أن وخزة الضمير الحيّة هذه قد تكون سبب نجاتك.

فهذا الأب الذي لم يفعل الخير قط، لكن خوفه من الله في حياته وليس من بعد موته لا وإنما حين عرف أن الحياة أوشكت على النهاية وقبل أن يحتضر -لأن لو احتضر ما نفعته هذه التوبة-، هذا الخوف الذي شعر به من عمق قلبه نفعه عند الله عز وجل فغفر الله له ودخل الجنة.

جميعُنا لا نعرف ما الذي سيدخلنا الجنة! ما هو أرجى عمل صالح فعلناه؟ هل هو بر بوالدة؟ أم عمل استمت فيه؟ هل هذا هو العمل الصالح أرجى عمل بالنسبة لك أم هناك شيء آخر؟

ركعات في ظلام الليل..

وفي هذا السياق يجدر بنا ذكر قصة زُبيدَة حينما حفرت بِئر زبيدة هي لم تنتظر أجلها، ولم توصِ أحدًا بحفره، بل أخذت من حُر مالها وصرفت مئات المئات من الدنانير حتى قيل شيء ما يقارب ملايين عصرنا الحالي، تسقي الحجاج، في ذلك الطريق الذي قد يموت فيه الناس من الظمأ.

وهذا قد يكون مهر الجنة لزبيدة لأنهم قضوا سنوات عديدة يحفرون هذا البئر وهو موجود إلى يومنا هذا، فلما ماتت شوهِدت بالمنام فقيل لها: ما فعل الله بك؟ فقالت: غفر الله لي، فقالوا لها: بعين زبيدة؟ قالت: وما عين زبيدة!، إنما غفر الله لي بركعتين كنت أركعهما في ظلام الليل. وكأنها تقول عين زبيدة لم تكن السبب، بل ما غفر الله لي إلا بركعتين كنت أركعهما في ظلام الليل.

لذا فلا أحد يعلم ما الذي سيشفع له عن الله -سبحانه وتعالى- فهذا الرجل لم يعمل خير قط إلا مخافة الله عز وجل قال: «قَالَ: مَا حَمَلَنِي إِلَّا مَخَافَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ» [١٤]() وفي رواية : (فَمَا تَلاَفَاهُ أَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ)[١٥]() ،

[١٣]() أخرجه البخاري، صحيح.
[١٤]() أخرجه البخاري، صحيح.
[١٥]() أخرجه البخاري، صحيح.

و من فقه الأئمة -رحمهم الله وجمعنا بهم في جناته- أن الإمام البخاري ومسلم حينما يرويان هذا الحديث يأتيان بعده مباشرة بحديث آخر وهو: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ» قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّهُ أَعْلَمُ: «لاَ أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلاَ سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا، وَلاَ أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا، فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ»[١٦]() (ذكر البخاري هذا الحديث بعد حديث الرجل الذي أدخله الله وغفر له مخافته).

قال الزهري -رحمه الله-حينما شرح هذا الحديث: (ولذلك لئلا يتكل رجل ولا ييأس رجل) أي لا يتكل إنسان لم عمل خيرًا قط ونفعه خوفه من الله ألا يحرص على فعل الخير أبدًا، فسيق هذا الحديث.

تخيل هذا المنظر امرأة أزعجتها قطة فقامت بحبسها في مخزن ونسيتها مثلاً فلا هي التي تركتها تأكل من خشاش الأرض، ولا هي التي أطعمتها، ولم يُذكر أن هذهِ القطة ماتت لكن فعل الحبس الذي ارتكبته، عُذّبت بسببه في النار. هذا في شأن إيذاء الحيوان، فكيف بالذي يُعذب إنسانًا؟!

تقارير شيطانية يومية!

يقول النبي ﷺ:" إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، فَقَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي[١٧]()" الشيطان حَلف بالله أنه سيظل يغوي بني آدم، لكن ماذا قال الله -عز وجل- له؟ قال: فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني.

وهذه بشارة ودعوة لك أيها الإنسان لكيلا تمل ولا تكل عن الاستغفار. فالشيطان لا يمكن أن يمر به يوم دون أن يحاول إسقاطك في وحل الذنوب، وألا تغرب شمس يومك دون أن يكون لديه مكافأة بارتكابك سيئة من السيئات. وهذه وظيفة الشيطان في هذه الحياة أن يغوي بني آدم ولذلك لديهم اجتماع في كل يوم، يكون إبليس على عرشه في البحر، يأتونه الشياطين الصغار فيسألهم ماذا فعلت أنت؟ وماذا فعل ذاك؟

إذن هناك تقرير يومي! وأي واحدٍ منهم يأتي من غير مكاسب، يُعتبر شيطانًا فاشلًا، يحتاج أن يتعلم الصنعة حتى يُجيد السرقة من هذا وذاك بذنبٍ ومعصيةٍ ويسقطه فيها.

وها أنت الآن عرفت وظيفتهم وغاياتهم، لذا عليك ألا ترضى أن تغرب ولا تشرق شمس يومك إلا وقد ملأت صحيفتك استغفارًا، فلا يكون لهم إلى السرقة منك من سبيل!

نخيل وكنوز وبيوت في الجنة...

ولا تنتظر أن تبلغ من العمر عتيًا لتستغفر، ولا تنتظر أن تفعل الذنب الكبير لتستغفر، أي لا تجعل استغفارك مُقيّدًا بالذنوب الواضحة! بل املأ صحيفتك استغفارًا في كل حين والنبي ﷺ يقول: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»[١٨]()

[١٦]() أخرجه البخاري، صحيح.
[١٧]() أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال الذهبي: صحيح.
[١٨]() أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: صحيح.

تخيّل أن أُناسًا يقطعون طرق الأسفار شاردي الذهن، ٤٠ دقيقة أو ساعة كاملة من أعمارهم انقضت دون أن يغرسوا لهم نخلةً في الجنة بـ " سبحان الله وبحمده "، ولم يحصلوا على كنز من كنوز الجنة بـ" لا حول ولا قوة إلا بالله "، وتمر الدقائق والساعات بلا "أستغفر الله أستغفر الله ". وهذا من صور البخل على النفس!،

هل تتصور أن بإمكانك بناء بيتٍ في الجنة في ست دقائق حين تقرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ١٠ مرات؟ بل ومن الممكن أن تختم القرآن حين تقرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ٣ مرات؟ إذ إن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن فلو قرأتها ثلاث مرات كأنك ختمت القرآن كاملًا. وما أكثر مواطن الخير التي يضيعها الإنسان على نفسه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ»[١٩]()

ذكر شُرّاح الحديث أن في الحديث زيادة، وهي: أنّ عائشة -رضي الله عنها- قالت: يا نبي اللَّهِ أَكَرَاهِيَةُ الموت؟ كلنا نكره الموت! قال: ليس ذلك! ولكن المؤمن إذا بُشّر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كرهَ لقاء الله وكرهَ الله لقاءه.

ففي آخر لحظة من حياة الإنسان يرى فيها الحياتين. فعمر بن عبد العزيز-رحمه الله- حينما كان في مرض موته أي آخر لحظاته وكان يُحِد النظر، فقال له ابنه: (يا أبت إنك تُحد النظر، قال: إني رأيتُ خلقًا لا هم إنس ولا جن)، فهو رأى الحياة الأخرى فلم يلبث أن مات.

عُرس سماويّ!

إذن هناك لحظة يبشر فيها الإنسان فتأتيه إما ملائكة الرحمة وإما ملائكة العذاب فملائكة الرحمة حينما يأتون بوجُوهِهم النيرة الوضاءة ومعهم قطع الحرير من الجنة ليكفنوه بها، فيأتي له الملك إلى أذنه "ملك الموت" ويقول له : (يا أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى رب راضٍ غير غضبان)،

تخيل حينما تسمع هذا النداء الأخير وترى ملائكة الرحمة قادمين وأن هذا الملك المُبشِّر في هذه اللحظة والذي يخافه الجميع -ملك الموت- عند إذنك يقول: (يا أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى رب راضٍ غير غضبان) يطمئن القلب ويُبشَّر بالفوز والنجاح في اختبار الدنيا، وأن مسيرَ هذه الروح إلى السماء عبارة عن عرس يُزف من سماء إلى سماء كما هو في حديث البراء بن عازب المعروف.

٤ أبيات..!!

يقول النبي ﷺ : «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَشْهَدُ لَهُ أَرْبَعَةُ أَهْلِ أَبْيَاتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الْأَدْنَيْنَ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا خَيْرًا، إِلَّا قَالَ اللَّهُ: قَدْ قَبِلْتُ عِلْمَكُمْ، وَغَفَرْتُ لَهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»[٢٠]()

[١٩]() أخرجه البخاري، صحيح.
[٢٠]() أخرجه أبو يعلى في مسنده، وقال الألباني: حسن لغيره.

"الجملة الأخيرة " وغفرت له ما لا تعلمون " هذهِ تُكتب بماء الذهب. لاحِظ " ما من مسلم يموت فيشهدُ له أهل أربعة أبيات " لم يقل ١٠٠ شخص لا فقط أربعة أبيات، لو ضمن ذكرهم له بالخير والثناء وليس في صدورهم غل ولا بغض ولا موقف ولا إساءة، يجازيه الله ويغفر له ما لا نعلم

ولذلك لما مرت الجنازة أمام النبي ﷺ يقولُ أَنَسُ بْنِ مَالِكٍ: مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، قَالَ عُمَرُ: فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ، فَقُلْتَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ، فَقُلْتَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ»[٢١]() ..فالله يُشفع هؤلاء الناس في أخيهم الذي أثنوا عليه خيرًا. وهذه رسالة لمن يفتر ويقول "أنا ومن بعدي الطوفان" ولِمن يعمل ولا يضع اعتبارًا لمن حوله، ويفعل من الشر ما لا يردعه عن ذلك، لا أدب ولا أخلاق ولا دين ويظن أن هذا الذي يجعله مميزًا في حياته.

الدنيا مزرعة الآخرة..

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ عِنْدِي لَبِمَنْزِلَةِ كُلِّ خَيْرٍ، يَحْمَدُنِي وَأَنَا أَنْزِعُ نَفْسَهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ»[٢٢]() انظروا لهذا العبد الصالح وكيف أن الله يحمله لهذه المنزلة فيقول عنه "إن المؤمنَ عندي بمنزلةِ كلِّ خيرٍ" أي: بمنزلة عالية، لماذا؟ لأنه يحمد الله عز وجل وهو ينزعُ نفسَه من بين جنبَيه.

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: دخلتُ على النبي ﷺ وهو يوعك فوضعتُ يدي عليه فوجدتُ حرَّه بين يدي فوق اللحاف فقلتُ: يا رسول الله ما أشدها عليك، قال: «إنا كذلك يضعّف لنا البلاء ويضعّف لنا الأجر». قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء» قلت: يا رسول الله ثم من؟ قال: «ثم الصالحون إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجدُ أحدهم إلا العباءة يحويها وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدهم بالرخاء»[٢٣].

وعَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: «مَا أَغْبِطُ أَحَدًا بِهَوْنِ مَوْتٍ بَعْدَ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ شِدَّةِ مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» [٢٤]()وهذا التشديد على النبي ﷺ وهو الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، إذن لماذا يُشدد عليهِ؟ لرِفعة درجاته.

الخلاصة: **الدنيا ليست من أجل الراحة ولا من أجل الترف، وإنما وُضعت لتكسب وتزرع فيها عملاً صالح ترفع به درجاتك في الجنّة.**

---

[٢١]() أخرجه مسلم،صحيح.
[٢٢]() أخرجه أحمد في مسنده،وقال الألباني: صحيح.
[٢٣] صحيح ابن ماجه.
[٢٤]() أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: صحيح.

ولذلك في الحديث القدسي «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ عِنْدِي لَبِمَنْزِلَةِ كُلِّ خَيْرٍ، يَحْمَدُنِي وَأَنَا أَنْزِعُ نَفْسَهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ» [٢٥]() ولذلك تخرج روحه من بين جنبيه وهو يحمد الله -عز وجل- وعندما نقول أمر المؤمن كله خير إن أصابته سراء شكر، وإن أصابته ضراء صبر، فهو طوال الوقت يحمد الله -عز وجل- ولا يتسخط على شيء من قضاء الله ولا يقول يا ربي لم أنا؟!

هو لا يتساءل وإنما يجعل الخير والحكمة عند الله -عز وجل- ويبذل الأسباب.

لا تحقرن من المعروف شيئا!

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَلَقَّتِ المَلاَئِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ المُوسِرِ، قَالَ: قَالَ: فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ»[٢٦]()

لأن جزاء الأعمال من جنسها ولذلك نقول لا تحقرنّ من المعروف شيئًا قط، وهذا ما عمل معروف قط إلا أن كانت فيه هذه الصفة وهي إنظاره للناس، يدينهم ويعطيهم ولا يشدد عليهم، فقال الله عز وجل: تجاوزوا عنه وأنا أحق أن أتجاوز عنك.

لا تحقرن من المعروف شيئا، لأنك لا تعلم أي الخير الموصل للفلاح. ونلاحظ أثناء تنقلنا بين الأحاديث أن هناك رابط يجمع بينهم وهو حقيقة العلاقة بيننا وبين الله عز وجل، وأننا لا نحقر المعروف ولو كان قليلًا؛ لأننا لا نعلم أي العمل سيدخلنا الجنّة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: " اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} سورة السجدة آية(١٧) ()[٢٧]

هذا الحديث القدسي له شواهد كقول النبي ﷺ : «لَقَابُ قَوْسٍ فِي الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَتَغْرُبُ»[٢٨]()، قاب قوس " أي :الانحناءة بين القوس أو الرمح وما بين الخيط الذي يشد القوس فربما تكون المسافة بينهما ٤٠ سم أو ٣٠ سم.. وهذه هي المساحة التي قال فيها النبي ﷺ " لقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب "

وفي حديثٍ آخر يقول النبي ﷺ : «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها» والسوط " : هو قطعة جلد مثل الحبل، ويُقصد بموضع السوط في الجنة مثلًا ٣٠ سم في ٥٠ سم خط لا يتجاوز ٣ سم ،فمعنى قول النبي عليه الصلاة والسلام أنك لو كسبت في الجنة موضع ٣ سم في ٥٠ سم فقط فهذا خير من الدنيا وما فيها.

---

[٢٥]() أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: صحيح.
[٢٦]() أخرجه البخاري، صحيح.
[٢٧]() أخرجه البخاري، صحيح.
[٢٨]() أخرجه البخاري، صحيح.

أما بالنسبة للحديث الذي سبق ذكره أن في الجنة ما لا عين رأت!! هذا ليس قول النبي عليه الصلاة والسلام صحيح أنه على لسانه لكن القول جاء من الله تعالى إذ أنه حديث قدسي «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[٢٩]()

«سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ،»[٣٠]() هو لا يعلم أنه أدنى أهل المنزلة في الجنّة " ثم: «قَالَ -موسى عليه السلام-: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[٣١]()

ما هو الكائن في الجنة الذي لم يخطر على قلب بشر؟ ولم تسمعه أذن ولم تره عين!

ذات مره كُنت في لقاء مع أحد الزميلات التي كان زوجها متوفٍ فكنا نتجاذب أطراف الحديث معها ونقول لها أننا سنُزوجها ونقيم لها عُرسًا، فقالت: لا لن أتزوج أحدًا فزوجي أبو فلان هناك في الجنة. فتطرقنا حول الحديث عن أهل الجنة وأحوالِهم، وتساءلت إحدانا وهي منفصلة عن زوجها منذ ١٠ سنوات عن حالها بالجنة؟ ومن سيكون زوجها؟

فجعلنا نتذاكر عن حال من يدخل الجنة أعزب وعن من يدخلها منفصل، إذ لن يكون في الجنة أحد أعزب و كلام ابن القيم-رحمه الله- حول أن كيف الله يزوجهم كُلٌ باختياره فالمتزوج في الدنيا يزين الله له زوجه ويجعله صالحًا ويكمل له الخلقة والخلق، ثم ذهب بنا الحديث إلى أن النعيم في الجنة غير مقتصر على الزواج وليست القضية هي الحور العين ولا القضية الولدان المخلدون بل الجنة فيها كل شيء مما يتمناه الإنسان ومما تسافر من أجله الأرواح وتحبه، فلو سألنا عمّ تحب؟ تُحِبُ المزارع؟، تحب الأماكن الهادئة؟... وغيرها.

أو لو سألناك عن أقصى نعيمٍ تحلم به؟ أو لو كنت تملك ألف.. مليون.. مليار ماذا ستفعل بها؟ هل ستجول الأرض شرقًا وغربًا؟ هل ستنزل أفضل النُزل في العالم؟ كُل تلك الأمور المادية الدنيوية التي ذكرناها موجودة على ذات الكوكب الذي نعرفه جميعنا

فتخيلوا ذاك حينما نتذكر قول رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ» [٣٢]() فكيف بنعيم الجنة إذ ذاك كله لا يشبه نعيم الدنيا؛ ولذلك نقول: ماذا سنفعل بالجنة إن كنا خالدين فيها؟ فالأمر غير متعلق بالنعيم والخلود بل الأمر متعلق بالتجديد الذي يجعلنا في حالة من التسبيح، ولذا لا توجد في الجنة صلاة أو شرائع أو تكليف أو أي من العبادات التي يقوم فيها الإنسان في الدنيا!

لكن أصحاب الجنة هُناك يُلهمون بالتسبيح والسبب هو النعيم المتجدد أمام أعينهم البعض منا قد يتساءل، بحكم أننا نعرف جيدًا أن تكرار الأمر الجميل ذاته يفقد معه طعمه لكننا نجيبهم أن في الجنة تأتي رياح تُغير لهم مساكنهم و وجوههم أي أن كل نعيم الجنة يتجدد كل مرة ولا عجب بذلك

---

[٢٩]() أخرجه البخاري، صحيح.
[٣٠]() أخرجه مسلم، صحيح.
[٣١]() أخرجه مسلم، صحيح.
[٣٢]() أخرجه الترمذي، وقال الألباني: صحيح.

إذ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[٣٣]()

فما الذي يجعل الإنسان يبيع الجنّة من أجله! وما الذي يمنعنا من جمع الزاد لتلك الديار؟

عدد الأشخاص الذين يتوفون حولنا ونسأل الله لهم الرحمة ونسأل الله أن يتقبل من يكون منهم شهيدًا.. لكن كيف لهذه الحادثة ألا تجعل الإنسان يستعد ويبدأ البحث بجدية عن شيء يشتري به بيتًا في الجنة ويدفع مهرًا حقيقيًا لها! الأمر أسمى من فعل الأوامر وترك النواهي.

شهادة الجوارح!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: " فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ، وَتَرْبَعُ، فَيَقُولُ: بَلَى، أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ»[٣٤]()

وشرح الحديث هو:

أي ألَمْ أخلُقْكَ ؟" أي : يا فلان ، " أَلَمْ أُكرِمْكَ ؟ وَأُسَوِّدْكَ ؟ وَأُزَوِّجْكَ ؟ وَأُسَخِّرْ لكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ ؟ وَأذرك تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ؟ " يعني أن جعلتك سيدًا وأن تكون لك زوَجَة، وسَخَّر لك الخيل والإبل أي : أعطاه من كل الأموال ومن نفائسها، " فيقولُ : بلى يا ربِّ " أي أعطيتني وسخرت لي ، " فيقولُ : أفظنَنْتَ أنَّكَ مُلاقِيَّ؟ " يعني يوم أن أنعمت عليك بكل تلك النعم هل ظننت أنك ملاقي؟ " فيقولُ : لا ، فيقولُ جل جلاله : فإنِّي أنْسَاكَ كما نَسِيتَنِي "

وتخيلوا معي حينما ينسى الله فلانًا أين سيذهب من شدة الأهوال وسوء المآل!! تخيل أن الله ينساك! من الذي يُنقذك؟ ومن الذي يُذكر فيك أصحابك ومن الذي سيشفع لك؟ لا أحد.

"ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فيقول له مِثْلَ ذلكَ، فيقول : يا رَبِّ آمَنْتُ بكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ ما اسْتَطَاعَ " أي يا رب إني فعلت كذا وكنت مع الناس وتصدقت وصليت وفتحت داري لهم وما بقي من الخير إلا فعله ، " قال : ثُمَّ يُقَالُ له: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ ، وَيَتَفَكَّرُ في نَفْسِهِ : مَن ذَا الذي يَشْهَدُ عَلَيَّ ؟ " أي يا ترى

[٣٣]() أخرجه البخاري،صحيح.
[٣٤]() أخرجه مسلم،صحيح.

من سيشهد عليّ أخ أم زوج أم صديق؟ من سيشهد عليّ في هذا الموطن؟ " فيُختَمُ على فيه " فما عاد يستطيع يتكلم، " وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ : انْطِقِي ، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذلكَ لِيُعْذِرَ مِن نَفْسِهِ، وَذلكَ المُنَافِقُ وَذلكَ الذي يَسْخَطُ اللَّهُ عليه "

أي صحيح أنه كان يصلي مع الناس ويصوم مع الناس ويتصدق أمام الناس لكن في الحقيقة إذا خلا بينه وبين الله انتهك المحارم، ولذلك الله ينشئ شاهده عليه من نفسه فينطق فخذه ولحمه وعظامه بالذي كان يفعل ..

لذلك ليس الأمر سهلًا أن تجعل الله أهون الناظرين إليك ونجد أن من وصايا السلف الحذر من أن تجعل الله أهون الناظرين إليك، فتستحي من كل الناس لكنك لا تستحي من الله وتستحي من الناس أن يروك لكنك لا تستحي من نظر الإله إليك.

في فقد صفيّ الروح..

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إِلَّا الجَنَّةُ "[٣٥]()

هذا الحديث نسمع به دائمًا حينما يُعزّى من فقد حبيبًا، فهذا مما يُذكر الإنسان ويعيده لوعيه. يقول الله-سبحانه وتعالى-: " ما لعبدي المؤمن عندي جزاء " أي أن الله لا يجازي العبد المؤمن إذا قبض صفيه، يعني حبيبه، " من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة " يعني احتسب أجره عند الله عز وجل وثبت عند الصدمة الأولى إلا الجنة.

ومعنى صفيه، في اللغة العربية يقول الحافظ معناه الحبيب المصافي كالولد والأخ وكالزوج والوالد وكل من يحبه الإنسان، والمراد بالقبض: يعني قبض روحه أي الموت، فالصفي إذن هو صفي الروح يعني الخالص مثل ما يقال العسل المصفى يعني خالص الخالص، فلما يقال صفي الروح يعني الإنسان الذي دخلت محبته في سويداء القلب يعني داخل الداخل.

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: «ابْنَ آدَمَ إِنْ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى، لَمْ أَرْضَ لَكَ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ»[٣٦]()

مما يجدر ذكره هنا أن الأعمال التي يكون ثوابها الجنّة بالنّص قليلة، كـ «... وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»[٣٧]()، ويقول سبحانه " يا ابن آدم إن صَبرت واحْتسبت عند الصدمَة الأولى "[٣٨]() ليس حينما تسخط وتزجر وتنهار وتتساءل ثم بعد ذلك تثبت؛ لا .. بل المقصود هو ثباتك عند الصدمة الأولى ولا يعني الثبات عدم البكاء والحزن، إذ إن هذه الأحوال طبيعية الحصول ومشروعة والنبي عليه الصلاة والسلام بنفسه سالت دموعه

[٣٥]() أخرجه البخاري، صحيح.
[٣٦]() أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: حسن.
[٣٧]() أخرجه مسلم، صحيح.
[٣٨]() أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: حسن.

جاء في الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ».[٣٩]()

وعَنْ أُسَامَةَ: أَنَّ بِنْتًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ، وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَسَعْدٌ، وَأُبَيٌّ، أَنَّ ابْنِي قَدْ احْتُضِرَ فَاشْهَدْنَا، فَأَرْسَلَ يَقْرَأُ السَّلاَمَ وَيَقُولُ: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَمَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَتَحْتَسِبْ» فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ، فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ، فَلَمَّا قَعَدَ رُفِعَ إِلَيْهِ، فَأَقْعَدَهُ فِي حَجْرِهِ، وَنَفْسُ الصَّبِيِّ جُئِّثُ، فَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ سَعْدٌ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ يَضَعُهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ».[٤٠]()

يقول النبي ﷺ : " إِنَّهُ يُقَالُ لِلْوِلْدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ". قَالَ: " فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا "، قَالَ: «فَيَأْتُونَ» ، قَالَ: " فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَا لِي أَرَاهُمْ مُحْبَنْطِئِينَ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ "، قَالَ: " فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ آبَاؤُنَا "، قَالَ: " فَيَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ")[٤١]()

ومعنى هذا الحديث أن يوم القيامة حينما يأتون الأطفال الصغار ويقال لهم ادخلوا الجنة بلا حساب يقولون" يا ربنا حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا" أي إننا لن ندخل الجنة حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا ، " فيقول الله عز وجل : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم " فيُشفعهم الله عز وجل بآبائهم وأمهاتهم فيدخلون الجنّة، فينتظرونهم في الحديث الآخر بِسُرَرِهم أي : رضع.

اجتماعٌ ونعيم أبديّ!

الموت ليس نهاية المسير فينبغي ألا يستهلك منا كل تلك المشاعر، إذ إن لنا موعد ولقاء حتمي الحصول، نحن نحزن للفراق نعم فالفراق بطبيعته صعب، لكن المفترض أن نوقن أن لنا لقاء آخر، نعمل ونبذل كل ما يرضيه-سبحانه وتعالى- لنحظى باجتماع سرمديّ مع أحبابنا في الجنة لا فراق بعده.

[٣٩]() أخرجه البخاري، صحيح.
[٤٠]() أخرجه البخاري، صحيح.
[٤١]() أخرجه أحمد في مسنده، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد.

بيت الحمد..

تأمل هذا الحديث واستشعر رحمة الله حينما يسأل عنك أنت، يسأل عن حُزنك وعن بكائك وخوفك، يسأل الله-سبحانه وتعالى- عنك بذاتك وباسمك.

لقول رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ "[٤٢]()

وشرح الحديث هو:

" إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي " أي أن سبحانه يسأل عنك وعن ردة فعلك وهو العليم بها! فتقول الملائكة نعم فيقول الله " قبضتم ثمرة فؤاده" أي ابنك ذو العشرين سنة مثلًا وفي عز شبابه أو أن يكون عمره سبع سنوات مثلًا أو ست سنوات فتقول الملائكة نعم فيقول عز وجل " فماذا قال عبدي؟ " تصوّر أن الله يسأل عن نطق لسانك حينما سمعت بالفاجعة لأول مرة .. والله يعلم مقدار الحزن ومقدار الألم ومع ذلك يسأل عنك وعن ردة فعلك، فتقول له الملائكة حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ،" فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسموه: بيت الحمد "

فبيت الحمد هذا لا يُعطى إلا لهذا الإنسان الذي صبر في تلك اللحظة حينما قُبِضَ صفيهُ وحبيبهُ وثمرة فؤادهِ، ولذلك الإنسان يوطن نفسه لمثل هذهِ الابتلاءات فهي أمور موجودة وقد يأتي يوم من الأيام يذهب دون معرفة السبب قد يكون هناك تمهيد وقد يكون بلا تمهيد!! لكن الإنسان حينما يوطن نفسه على اليقين وعلى الثبات يُثبته الله ويُعينه.

على سُجادة السّحَر..

يقول النبي ﷺ : «رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ يُعَالِجُ نَفْسَهُ إِلَى الطَّهُورِ، وَعَلَيْكُمْ عُقَدٌ، فَإِذَا وَضَّأَ يَدَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِذَا وَضَّأَ وَجْهَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا مَسَحَ رَأْسَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا وَضَّأَ رِجْلَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِلَّذِي وَرَاءَ الْحِجَابِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُعَالِجُ نَفْسَهُ لِيَسْأَلَنِي، مَا سَأَلَنِي عَبْدِي هَذَا فَهُوَ لَهُ، مَا سَأَلَنِي عَبْدِي هَذَا فَهُوَ لَهُ».[٤٣]()

" انظُروا إلى عبدي هذا يُعالِجُ نفسَه لِيسألَني ما سألني عبدِي هذا فهو له " جاءتك الإجابة قبل أن تسأل ولذلك تخيّل حجم الخسارة لو صلّيت الركعتين ببرود وشرود وما دعوت الله فيها، والله عز وجل قال "ما سألني عبدِي هذا فهو له " الأمر بسيط فقط ضع المؤقت على الساعة ٢ أو حتى قبل صلاة الفجر بنصف ساعة توضأ وصلِّ ركعتين، ولتعلم أنه بِمُجرد وضوئك هذا قبل الصلاة وقبل دعاء الله عز وجل "فيقولُ اللهُ جلَّ وعلا للَّذي وراءَ الحجابِ : انظُروا

[٤٢]() أخرجه الترمذي، وقال الألباني: حسن.
[٤٣]() أخرجه ابن حبان في صحيحه، وقال الألباني: حسن.

إلى عبدي " فتخيّل أن الملائكة كلها مع الله ينظرون إليك وأنت تفرش سجادتك تستعد للصلاة، وأنت بالتأكيد لا تعلم ماذا يحصل في الأعلى هناك.

فيقول عز وجل " انظُروا إلى عبدي هذا يُعالِجُ نفسَه لِيسألَني ما سألني عبدِي هذا فهو له ما سألني عبدي هذا فهو له".

ولذلك ليس بفقيه من كانت له عند الله حاجة فنام عنها في الأسحار، هذا وقت الكرم الربّاني يؤتي الله عز وجل فيه من يريد ما يريد.

ولدٌ صالح..

يقول النبي ﷺ: " إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ".[٤٤]()

تخيل أن أعمالك بعد حسابها أوصلتك للمنزلة الـ ٣٥ ، ثم وجدت نفسك ترتفع ووصلت الـ ٤٥!! مرت الأيام وأنت ترتفع أكثر ووصلت الـ ٨٥ ثم ١٠٠ ثم الـ ١٥٠ ! فيسأل العبد " يا ربِّ ، أنَّى لي هذِهِ؟ " وهو رأى الحساب ورأى مقدار أعماله التي لم توصله إلا منزلة ٣٥ فيقول: من أين لي هذهِ الأعمال التي أوصلتني لهذه المنزلة؟ قال الله " باستِغفارِ ولدِكَ لَكَ "، إذن الولد صالح يرفع والديه ويخفف عذابهم في القبر، ويمكن حتى أن يُنزل عليهم النور والسرور، ويُعلي منازلهم باستغفاره لهم.

يقول النبي ﷺ : " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ")[٤٥]()وفي حديث آخر أن الْبَرَاءِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَبَكَى، حَتَّى بَلَّ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: «يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا» .[٤٦]()

ولمثل هذهِ المنزلة ولمثل هذهِ الرِفعة في الجنة أعدّو أولادكم، القضية ليست في لباسٍ يرتدونه ولا في مدارس يدخلونها، ولا في إنجليزية يتقنونها، لكن القضية أن تعدّوهم لتلك اللحظات حينما ترتفع منازلكم في الجنة حينما ترون أنكم أحوج ما يكون إلى حسنة من ولدك، كم من الأولاد الآن لا ينسى والديه في زحام الدنيا !! مَن مِن الأولاد الآن يرفع يديه في ظلام الليل يدعو لوالديه!! لن يحصل ذلك إلا بتربيتهم وتأسيسهم تأسيسًا قويمًا -والهادي الله-، لكن القضية هي أن ربّوا أولادكم وأعِدّوهم لمثل هذا اليوم.

---

[٤٤]() أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: حسن.
[٤٥]() أخرجه مسلم، صحيح.
[٤٦]() أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: حسن.

البلاء رفعة للمؤمن..

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ عَادَ مَرِيضًا، وَمَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ مِنْ وَعْكٍ كَانَ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَبْشِرْ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا، لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ، فِي الْآخِرَةِ "[٤٧]()

فالحُمَّى والحرارة هي نصيبك من نار الآخرة، فإذا أصابت الإنسان وعكة أو مرض، يجدر به ألا يتأفف، لا شك هي تؤلم، لكن عليه أن يتذكر أن هذهِ الحرارة الآن ماهي إلا نصيبه من نار الآخرة، فيخفف الله -عز وجل- عنه من عذابها بنار هذهِ الدنيا، وإن كانت قد غفرت له كل ذنوبه، فهذا الذي يصيبه هو رفعة له في درجاته.

ومصداق ذلك أحاديث كثيرة منها..

*عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[٤٨]()

* جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ: «مَا لَكِ؟ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ؟» -أي تتنفس بصوت عال- قَالَتْ: الْحُمَّى، لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا، فَقَالَ: «لَا تَسُبِّي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»[٤٩]()

* وقال النبي ﷺ : «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ»[٥٠]()، " يُصِبْ منه " أي : يصبه بعض البلاء ، فلا يحزن إنسان إن أصابه بلاء أو أصابه مرض؛ لأن الله إذا أراد بهذا العبدِ خيرًا أصابه منهُ.

هؤلاء الذين يتوفون على سُررهم بمثل هذا المرض من الطاعون إنما هم شهداء لله .

* عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَخْتَصِمُ الشُّهَدَاءُ وَالْمُتَوَفَّوْنَ عَلَى فُرُشِهِمْ إِلَى رَبِّنَا فِي الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنَ الطَّاعُونِ، فَيَقُولُ الشُّهَدَاءُ: إِخْوَانُنَا قُتِلُوا كَمَا قُتِلْنَا، وَيَقُولُ الْمُتَوَفَّوْنَ عَلَى فُرُشِهِمْ: إِخْوَانُنَا مَاتُوا عَلَى فُرُشِهِمْ كَمَا مُتْنَا، فَيَقُولُ رَبُّنَا: انْظُرُوا إِلَى جِرَاحِهِمْ، فَإِنْ أَشْبَهَ جِرَاحُهُمْ جِرَاحَ الْمَقْتُولِينَ، فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ وَمَعَهُمْ، فَإِذَا جِرَاحُهُمْ قَدْ أَشْبَهَتْ جِرَاحَهُمْ "[٥١]()

* ولذلك في حديث البخاري قال النبي ﷺ : «الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» [٥٢]()والمطعون شهيد.

* عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهَا أَخْبَرَتْنَا: أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَهَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ

---

[٤٧]() أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: صحيح.
[٤٨]() أخرجه البخاري، صحيح.
[٤٩]() أخرجه مسلم، صحيح.
[٥٠]() أخرجه البخاري، صحيح.
[٥١]() أخرجه النسائي، وقال الألباني: صحيح.
[٥٢]() أخرجه البخاري، صحيح.

مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ» [٥٣]()

فما يصيب المؤمنين من الطاعون فهو رحمة لهم، ومن يعي هذا يعلم أن كرم الله واسع وأن فضله -سبحانه وتعالى- ورحمتهُ بعبادهِ كبرى وأنه لا يهلك على الله إلا هالك.

ختامًا :

هذا كان فيض من غيض من أحاديث القدسية التي جاءت على لسان النبي ﷺ وأسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن يُحشر مع نبيه ﷺ، وأن يرزقنا فعل الخيرات وترك المنكرات وحُب المساكين ..

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها

[٥٣]() أخرجه البخاري، صحيح.